

وفي هذين المثالين وغيرهما تتضح قدرة عبد القاهر على فهم النصوص وتحليلها وإظهار ما فيها من روعة وجمال وتأثير ، وقد استفاد من ثقافته اللغوية والادبية الواسعة واستعان بنظريته في النظم ، وبذلك كان أبرز النقاد والبلاغيين العرب لأنه أقام تحليله على فهم عميق وعلى نظرية ثابتة .

ويبدو من تحليله للنصوص والتعليق عليها أنه لا يميل الى الغموض السذي يستهلك المعاني « لأنه اذا كان النظم سوياً والتأليف مستقيماً كان وصول المعنى الى قلبك تلو وصول اللفظ الى سمعك ، واذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ الى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه ، واذا أفرط الامر في ذلك صار الى التعقيد الذي قالوا انه يستهلك المعنى »<sup>(١)</sup> . وذهبت روز غريب الى أنه يرى في الغموض حسناً لذاته<sup>(٢)</sup> ، لانه قال : « ومن المركز في الطبع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالزمية أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت به أضن وأشغف »<sup>(٣)</sup> ولكنها استدركت بعد ذلك قائلة : « ولكنه لا يستحسن التعمية والافراط في التعقيد » وهذا حسن منها لانه لا يدعو الى الغموض لذاته وإنما يرى ان المعاني المبتذلة التي ليس فيها جهد لا قيمة لها والا فما الفرق بين الاديب الموهوب ومن لم يذق طعم الادب . وقد أوضح هذه المسألة فقال بعد كلامه السابق ، « فان قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمدها يكسب المعنى غموضاً مشرفاً له وزائداً في فضله . وهذا خلاف ما عليه الناس ، ألا تراهم قالوا : ان خير الكلام ما كان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك ؟ فالجواب أني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وإنما أردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله : « فان المسلك بعض دم الغزال » .... وقوله :

(١) دلائل الاعجاز ص ٢١٠ .

(٢) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ص ٩

(٣) اسرار البلاغة ص ١٢٦ .